فكاهات

الرسالة المفقودة [1]

كانت الجنود الانكليزية كما يعلم الجميع تحارب كتفاً الى كتف مع الجنود المصرية في اراضي السودان لاسترجاعهِ ولكنها كانت مع هذه الموافقة والمخالطة سائرةً على نظامها الخاص تحت امرة قواد مخصوصين مرجعهم الى حكم السردار . وكان في بعض الفرق الانكليزية صديقان حميان من لندن يدعى احدهما هرجر والثاني فلكونر كانا من الاسر الغنية فدخلا المدرسة الحربية معاً واتقنا الفنون العسكرية ولما بلغهما ان الحرب دارت رحاها في صحاري السودان سوّلت لهما النفس يدخلا هذه المعمعة علهما يصيبان شيئاً من اكاليل الغار فجعلا يتوقعان الفرصة الى ان دعت الحال الى استقدام عساكر انكليزية جديدة من انكلترا فكان نصيبهما ان جآءا هذا القطر وهما يعللان النفس و عدانها بالفوز والارتقآء

وكان حظ هرجر اكثر مساعدةً من حظ رفيقهِ فارتقى الى قيادة فرقتهِ وجُعل فلكونر ثانيهُ في نفس الفرقة غير ان هذا التمييز لم يكن لهُ تأثير بينهما الا في المرقف العسكري اما في الاوقات الاخرى فكانا اخوين لا يفترقان . وكانا يتوقعان قدوم البريد الاوربي بكل اشتياق فاذا جآء اخذ كلٌّ ما يخصهُ من الرسائل وذهب الى خيمتهِ فلا يعود يراهُ رفيقهُ الى الصباح . ولم يكن جميع ما ذكر دليلاً على صدق الوداد وصفآء القلوب بين الاثنين فلو تأمل الناظر فيهما وهما مجتمعان يتحدثان لوجد في اعينهما غشآءً يغطي ما ورآءهُ من هيجان براكين مندفعة من القلب وانهما كخيول الرهان تعيش في اسطبلٍ واحد ويحن بعضها الى بعض الى ان تجيء ساعة السباق فينسى الواحد صاحبهُ بل يتمنى لهُ الهلاك كي لا يبلغ الغاية قبلهُ

(١) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وحدث في شهر مايو سنة ١٨٩٦ ان اقتربت الجيوش الانكليزية والمصرية من عكاشة وكانت الدراويش مستولية عليها فخطط السردار طريقة الهجوم واصدر الاوامر اللازمة لقواد الفرق واستعد الجميع لمناشبة القتال في الغد . وعند منتصف الليل استدعى القائد هرجر ثانيهُ فلكونر وقال لهُ خذ مئة فارس واذهب بهم الآن الى الجهة الشرقية من عكاشة وتربصوا فيها الى الصباح حتى اذا ابتدأت المعركة بيننا وبين رجال المهدي توافوننا من تلك الجهة فيكون لجناح الجيش منكم سندٌ عظيم. فقال فلكونر وقد ظهرت على وجههِ علامات الاستغراب أصحيحٌ ما تقولهُ يا هرجر ام انت تمزح . قال لسنا الآن في موقف مزاح بل في وقت اعطآء الاوامر العسكرية . فقال فلكونر لا يخفى عليك ايها العزيز ان الارض مجهولة منا تماماً ولم يسبق ان ارسلنا فيها طلائع فربما تقودنا خطواتنا توًّا الى حيث تكمن الدراويش فنقع في ايديهم غنيمة باردة . ولا اقول ذلك ضنًّا بحياتي او خوفًا من الموت ولكن لا ارى من الحزم ان يُسمح بقتل مئة فارس يحتاج اليهم في موقفٍ اهم ولغايةٍ انفع . فقطب هرجر حاجبيهِ وقال ربما كان هذا رأيك يا فلكونر ولكنهُ غير رأيي انا وانما اعلم شيئًا واحدًا وهو انهُ لو كنت انت رئيسي والقيت عليَّ اوامرك لما تأخرت دقيقة واحدة عن العمل بموجبها . فصمت فلكونر هنيهةً جالت في اثنآئها افكار كثيرة في رأسهِ ثم حيَّا التحية العسكرية وقال امرك مطاعٌ يا مولاي فانا ذاهب . وبعد نصف ساعةٍ من هذه المقابلة كان فلكونر في طليعة المئة الفارس يقودهم في الظلام الدامس وهم لا يدرون شيئًا من امرهِ بل لم يدرِ فلكونر نفسهُ الى اين تقودهُ قدماهُ فادار وجههُ الى جهة انكاترا مسقط رأسهِ وتنهد من كبدٍ حرَّى واستأنف مسيرهُ

وكانت جيوش الظلام الحالك تنهزم امام طلائع نور الشفق الى ان بزغ الفجر فجعل فلكونر منظارهُ على عينيهِ فرأى في النقطة التي امرهُ هرجر بالمسير اليها عددًا غفيرًا من الدراويش قد غطى كل تلك البقعة لكثرتهِ وعلم انهم اذا رأوهُ ورجالهُ فلا بد من هجومهم عليهِ وحصد تلك الشرذمة الصغيرة في لحظة من الزمن فامر فرسانهُ بالوقوف واخذ ورقة وكتب عليها الى القائد هرجر يعلمهُ بما رأى ويخطر الموقف

وانهُ سيلبث في النقطة التي بلغها الى ان يصلهُ امرهُ بالرجوع لانهُ يستحيل التقدم بعد . ثم اعطى الرسالة الى احد اعوانهِ وامرهُ ان يرجع بها الى القائد بمنتهى السرعة ويعود بالجواب . فاعمل الرسول في شاكلة جوادهِ المهماز وسار ينهب الارض نهباً الى ان بلغ هرجر فاعطاهُ الرسالة وترجل ليبدل حصانهُ لانهُ لم يكن يقوى على الرجوع بمثل السرعة التي جآء بها . وما كاد يفعل حتى ناداهُ هرجر وكان وحدهُ في خيمتهِ فقال لهُ عُد حالاً الى فلكونر وقل لهُ يتبع اوامري الاولى واعلمهُ انهُ مسؤولٌ عن كل تأخير يحدث بسبب مخالفتهِ الاوامر كما اني سألقي عليهِ تبعة هذا التردد الذي ابداهُ مرتين . فحيَّا الرسول وعاد كوميض البرق الى ان ادرك فلكونر فانهى اليهِ جواب القائد الشفاهي وهو لا يدرك شيئاً غير ما سمع . اما فلكونر فلم يظهر عليهِ اقل تأثر وامر فرسانهُ للحال باستئناف المسير فكانوا يتقدمون شيئاً فشيئاً الى جهة الدراويش وهؤلآء عنهم غافلون

و بعد مدة قصيرة ارتفع من جوانب البلدة صراخ يصم الآذان وعلت الغوغآء من جهات مختلفة ثم سمع فلكونر اطلاق البنادق فتأكد ان القتال قد انتشب ورأى ان الدراويش الذين كانوا في تلك البقعة قد ابصروهُ ومن معهُ من تلك الشرذمة القليلة فأقبلوا عليهِ وهم كالنمل الزاحف فلم يفقد شيئاً من شجاعتهِ فأصدر امرهُ الى رجالهِ بمداومة المسير والاستعداد للقتال . ولم يكن الا قليل حتى أُطلقت اول رصاصة اصابت الرسول الذي كان قد بعثهُ فلكونر الى هرجر فخرَّ صريعاً فشهر فلكونر حسامهُ باليد الواحدة ومسدسهُ بالاخرى وخاض برجالهِ ذلك البحر العجاج سابحاً بين نيران البنادق ومطر الحراب . واحدقت برجالهِ الدراويش فكان نحو عشرة منهم لكل فارس وحانت منهُ نظرة الى اتباعهِ فوجد انهُ لم يبقَ منهم سوى اقل من نصفهم فنزلت ضبابة كثيفة على عينيه وايقن بالهلاك ولكنهُ صمم على عدم التقهقر وكانهُ قد فقد عقلهُ فكانت ضرباتهُ تلمع يميناً وشمالاً كالبرق الخاطف وهو ثملٌ بهول ذلك الموقف

ودخلت جيوش السردار عكاشة من الجانب الآخر مطاردةً الدراويش بعد ما

هزمتهم شر هزيمة وملأت الارض من قتلاهم وابصر السردار العدد الغفير منهم المحيط برجال فلكونر القلائل فتعجب لوجودهم هنالك وامر للحال بعض الفرق ان تسير لنجدتهم ففعلت ورأى الدراويش ذلك فتقهقروا تاركين ورآءهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى وكُتبت لفلكونر الحياة فبقي ومعهُ نحو العشرين من رجالهِ فقط . ومرَّ السردار بجانبهِ فقال لهُ ستؤدي حساباً يا هذا عن وجودك هنا بدون امري وستجاوب عن شهدآء طيشك هؤلآء ثم وخز جوادهُ وكرَّ راجعاً الى بقية الجيش

ولما انتهى القتال واستراحت الجنود استدعى السردار قوادهُ واثنى على همتهم ونشاطهم بما يستحقون وكان من جملتهم هرجر فاصابهُ من الثنآء اعظمهُ ومن الاكرام اكثرهُ لان جنودهُ كانت قد ابلت البلآء الحسن في تلك المعركة . ثم استُدعي فلكونر فسألهُ السردار عن سبب هجومهِ مع رجالهِ القلائل الى حيث رآهُ وقد فقد ثلاثة ارباع فرسانهِ . فقال فلكونر لا استطيع يا مولاي ان اجيبك عن هذا سوى انني عملت بالاوامر المعطاة لي . فقال السردار واي احمق اعطاك مثل هذه الاوامر . قال رئيسي هرجر تم اخبرهُ بما حصل تماماً . وكان هرجر مصغياً فقال لا صحة لرواية فلكونر البتة ولم تبلغني رسالةٌ منهُ قط بل انني تعجبت جداً حين قام الجيش للهجوم ولم ارَ فلكونر بجانبي . فاحتدم فلكونر غيظاً وعلم انهُ لا واسطة لهُ يستشهد بها على صحة روايتهِ فان اوامر هرجر كانت شفاهية وقد انكرها والرسول الذي بعثهُ اليهِ قتل فلم يبقَ لهُ الا كلامهُ فقط وقد كذّبهُ هرجر فحرق الأُرَم غيظاً وصمت . فقال السردار اما انا فما عليَّ الا ابلاغ ما جرى الى نظارة الحربية وهي تحكم بما تراهُ

ولما عادت الجنود الانكليزية الى انكلترا دُعي هرجر وفلكونر الى مجلس عسكري وجرت المحاكمة فذكر فلكونر انهُ نبَّه قائدهُ اولاً شفاهاً ثم برسالةٍ مكتوبة وان ذاك الحَّ عليهِ بالتقدم وهددهُ بالمعاقبة اذا خالف الامر فلم يسعهُ الا الانقياد لاوامره . وكان هرجر ينكر تمام الانكار ما نسب اليهِ ويؤكد انهُ لم تبلغهُ الرسالة ولا عرف شيئاً من ذلك . وكان قد اثر على المجلس ما كتبهُ السردار من المدح والاطرآء لهرجر وكان كما ذكرنا من الاسر المنظورة فاصدر المجلس حكمهُ بتجريم فلكونر

فاجبروهُ ان يستعفي من الخدمة ولبث هرجر في عز ونعيم يزداد تقدماً ويترنح بخمرة انتصارهِ وكوفئ بمنحهِ لقب لرد فايقن انهُ نال منتهى السعادة والصفآء . وعاد فلكونر الى بيتهِ وقد اخفى في صدرهِ احرّ من نار الجحيم ولكنهُ علم ان ليس بيدهِ حيلة

. . . . . .

كان في مدينة لندن سيدةٌ من اشرافها تدعى اللادي هيوبرت اشتهرت بحسن الصفات ومحبة الناس وكانت من حين الى آخر تولم في قصرها الولائم فيجتمع على مائدتها عدد غفير من الاصدقآء والمعارف يتمتعون بأنس اللادي هيوبرت ومآكلها اللذيذة الى الصباح . وحدث انها دعت يوماً جماعة من معارفها الى وليمة حسب العادة فلما جآءت ساعة العشآء اخذ المدعوون في الحضور وهي تستقبلهم بما فطرت عليهِ من حسن الحديث وطلاوته . وكان من جملتهم الجنرال هرجر وزوجتهُ وشقيقتها وهي فتاة تدعى املي لم تتم الخامسة عشرة من سنيها وهي من ذوات الجمال الساحر فقابلتهم اللادي هيوبرت وادخلتهم الى ضيوفها . ولما ازف وقت الجلوس الى المائدة فتح الباب ودخل آخر المدعوين وهو المستر فلكونر . وكانت اللادي هيوبرت لا تجهل ما بينهُ وبين اللرد هرجر ولكنها سهت عن ذلك عند ارسال الدعوات ولم تنتبه الى غلطها الاّ بعد دخول فلكونر فما وقعت عينها عليهِ حتى صبغ الاحمرار وجنتيها ولكنها تمالكت واستقبلتهُ بمهارتها المعهودة وهي تود ان يتم ذلك الاجتماع على صفآء . اما هرجر فلما تبين فلكونر قطب حاجبيهِ وعاد الى كرسيهِ متنكرًا ولم يملك نفسهُ من اطلاق بعض الشتائم المرَّة في حق اللادي هيوبرت لجمعها بينهُ وبين عدوهِ فلكونر . اما فلكونر فراى بنظرةٍ واحدة جميع الحضور فحيَّا بخفض الراس بكل عظمةٍ ثم اخذ يتكلم مع اللادي هيوبرت . وكانت املي جالسة بقرب شقيقتها زوجة هرجر فلما سمعت اسم فلكونر ورأتهُ وثبت اليهِ بسرعة البرق فاتحةً ذراعيها وحيتهُ بمنتهى الشوق والانعطاف ثم اخذت تعاتبهُ على مسمع الجميع على عدم زيارتهِ لهم مع انهُ كان لا يمر اليوم الواحد الا تراهُ مرتين او اكثر في بيتها . اما اللادي هيوبرت فاسرعت الى تلافي الامر ودعت الجميع الى المائدة فقاموا وكان

من نصيب فلكونر ان اتفق جلوسهُ بجانب املي وكانت هي تعدّ تلك الساعة من ساعات السعادة فأخذا يتنازعان اطراف الحديث . ولما فرغوا من الطعام خلت املي باللادي هيوبرت وقالت لها قد لاحظت ان بين زوج اختي وفلكونر نفورًا فاحب ان اعرف سببهُ . فقالت اللادي هيوبرت نعم ان ما لاحظتهِ لصواب يا عزيزتي وساطلعكِ على هذا الامر في فرصةٍ اخرى . فقالت املي كلا بل اودّ معرفتهُ الآن . ورأت اللادي هيوبرت ان ضيوفها مشتغلون بالعابٍ ومسامرات فلم ترَ مانعاً من اجابة طلب املي وقصت عليها ما يأتي قالت

كانت شقيقتكِ يا املي آية الجمال والظرف فكان الشبان يكثرون من التردد لطلب يدها ولكنها رفضتهم جميعاً ولم تكن تميل الاّ الى اثنين صديقين وهما هرجر وفلكونر وكانت تحبهما محبةً متساوية ولا تدري من تفضل من الاثنين فبقيت تعللهما بالمواعيد وهي لا تجزم باختيار واحدٍ منهما . وكان فلكونر يتردد عليكما كما ذكرتِ ويأخذ لكِ الهدايا الكثيرة رغبةً في التقرب الى شقيقتكِ ونيل رضاها . فلما طلبت الجنود للحرب السودانية سافر هرجر وفلكونر في جملتهم واذ ذاك توقعت شقيقتكِ ان يكون في هذه السفرة فصل الخطاب اذ لا بدّ من حدوث ما يمتاز بهِ الواحد عن الآخر . ولما عادا وجرت المحاكمة العسكرية بخصوص رسالةٍ ادعى فلكونر انهُ ارسلها الى هرجر واقسم هذا انها لم تصلهُ أُمر فلكونر ان يقدم استعفاءهُ من الجندية ثم ترقى هرجر الى رتبة جنرال ونال لقب لرد فلم يعد من الصعب على شقيقتكِ ان تجزم باختيارهِ ولم تلبث بعد ذلك حتى صارت اللادي هرجر . ويهون عليكِ بعد هذا يا عزيزتي ان تعلمي بنفسكِ سبب نفور فلكونر من هرجر بعد ما سلبهُ حبيبتهُ وفاز عليهِ بالترقي . فقالت املي بربكِ اخبريني قصة الرسالة ايضاً . فتلت عليها اللادي هيوبرت القصة كما جاءت في اول هذه الرواية وكانت املي تصغي بمزيد الانتباه وعيناها سابحتان بالدموع شاخصتان الى حيث كان فلكونر جالساً وحدهُ يقلب صفحات مجلدٍ ضخمٍ

وعادت اللادي هيوبرت الى ما بين ضيوفها واذا بهرجر قد قام مستأذناً في

الانصراف بحجة انهُ مدعوٌّ مع زوجتهِ الى اجتماعٍ لا بد من حضورهِ فخرجا واخذا معهما املي . ولما خلت اللادي هرجر في عربتها مع زوجها وشقيقتها اخذت توبخ املي على تصرفها في مقابلة فلكونر وقالت لها بما انكِ لا تزالين تسيئين التصرف في المجتمعات العمومية فلا تذهبين معنا الليلة بل نوصلكِ الى البيت ونذهب وحدنا . اما املي فلم تنبس ببنت شفة وكانت افكارها مشتغلةً بما سمعتهُ عن فلكونر من اللادي هيوبرت وما جرى بينها وبينهُ من الحديث في اثنآء الطعام

ووقفت العربة امام قصر اللرد هرجر فنزلت املي ودخلت الى غرفتها واتمّ اللرد وزوجتهُ مسيرهما الى حيث دعيا . ولما بلغت املي غرفتها خلعت ثيابها ولكنها لم تجد عندها ميلاً الى الرقاد فجلست مدةً مفكرةً ثم خطر لها ان شقيقتها سمحت لها منذ بضعة ايام في انتقآء بعض الملابس القديمة من غرفتها وترميمها لتقدمها الى سوق الشفقة . فانارت مصباحها ونزلت الى تلك الغرفة ففتحت خزانة وجعلت تسلي نفسها بتفقد الثياب المذكورة . وما زالت على هذه الحال الى ان وقعت بين يديها بذلة عسكرية من الكتان الاسمر وهي البذلة التي كان يلبسها هرجر وقت الحرب . فقالت الآن علمت مقدار محبة شقيقتي لزوجها فلو كان هرجر زوجي لما سمحت بهذه البذلة قط ولحرصت عليها اشد الحرص . ولكن ما لنا ولهذا فماذا استطيع ان افعل بهذا الثوب . ثم جعلت تقلبهُ وتراجع افكارها في كيفية ترميمهِ ثم مدت يدها الى جيوبهِ مخافة ان يكون هرجر قد اودع فيها شيئاً يحتاج اليهِ ودخلت يدها الى جيبٍ مشقوقٍ بدون انتباه فشعرت بملامسة قطعةٍ من الورق مجعدة فاخرجتها وهي لا تدري ما هي ثم فتحتها وما وقع نظرها عليها حتى وثبت عن الارض كأن قوة كهربآئية قد رفعتها وحدّقت ببصرها الى تلك الورقة فقرأت فيها رسالة موقعاً عليها باسم فلكونر ومرسلة الى هرجر وعلمت انها نفس الرسالة التي انكرها هرجر كما مرَّ

ولما عاد هرجر وزوجتهُ الى البيت رأت اللادي هرجر نورًا في غرفة ملابسها فدخلت فوجدت شقيقتها في الحالة التي ذكرناها . فقالت لها ماذا تفعلين هنا يا املي اظنكِ تنتقين الثياب التي وضعتها لكِ على حدة . قالت نعم يا شقيقتي ولم يكن

ذلك منك انتِ بل هو الهامُ من الله جعلكِ تنبهيني الى هذا العمل لكشف القناع عن الرجل الذي يقسم بشرفهِ كذباً ولارجاع شرف البريء المتهم ظلماً وعدواناً . فقالت اللادي هرجر وقد عجبت من لهجة شقيقتها ماذا تعنين يا املي وما مرادكِ بهذا الكلام . قالت مرادي ان اسألكِ هل تعتقدين بصدق كلام زوجكِ وان فلكونر لم يرسل اليهِ تلك الرسالة في واقعة عكاشة في السودان . قالت نعم اعتقد ذلك ولكن ماذا تريدين بهذا السؤال . قالت اريد ان اخبركِ انهُ قد وضح الحق وقد وجدت الرسالة بعينها في ثوب زوجكِ المخاتل هذا وان لديَّ البرهان الواضح الذي يظهر للملأ اجمع خيانة هرجر وكذبهُ و براءة فلكونر وحقهُ المهضوم ظلماً

وكانت اللادي هارجر كمن يرى حلماً فوقفت حيناً صامتةً ولكنها رأت ثوب زوجها العسكري والرسالة في يد شقيقتها فلم يبقَ عندها ريب في حقيقة ما تسمع وادركت بلحظة واحدة عظم الامر فقالت لشقيقتها بصوتٍ خافت يا املي تعساً لي فقد وقعت بين يدي رجلٍ لا شرف لهُ ولكن قد قضي الامر فينبغي ان لا نهدم بيتنا بيدنا فهاتي هذه الرسالة لنلاشيها . فقالت املي ضاحكةً نلاشيها ؟ كلا بل نعطيها لفلكونر ليستعين بها في اثبات براءتهِ . فقالت اللادي هرجر اذكري يا املي ان بذلك خراب اختكِ وخراب صهركِ الذي اعتنى بكِ وتعبشين في بيتهِ . قالت اجل واذكر رجلاً مظلوماً بنينم اساس مجدكم الكاذب على انقاض صدقهِ ونزاهتهِ . ولما قالت هذا طوت الرسالة واخفتها في صدرها تحت ثوبها ورأت ذلك شقيقتها فهجمت عليها لتأخذها منها رغماً عنها وحصل بين الشقيقتين عراك شديد كادت تتغلب فيه اللادي هرجر على شقيقتها الضعيفة لو لا انها عثرت برجل كرسيٍّ كان بجانبها فهوت الى الارض واغتنمت املي الفرصة فوثبت الى خارج الغرفة واغلقت الباب ورآءها بعنف

ولبثت اللادي هرجر واقفةً تفكر فيما يجب ان تصنع ثم ذهبت لاتباع املي فلم تجدها في غرفتها و بعد ان بحثت في كل انحآء القصر بهدوء لكي لا يعلم زوجها علمت من البواب انهُ رآها خارجة من باب الحديقة . فطار رشد اللادي هرجر وتأكدت ان املي ستتوجه توًّا الى فلكونر وتسلمهُ الرسالة . فاستدعت خادمتها واخبرتها انها ذاهبة

في امرٍ مهمٍ جدًّا واوصتها ان لا تدع الرد يعلم بغيابها ثم خرجت وما سارت قليلاً حتى وجدت عربةً ركبتها وتوجهت الى الفندق الذي يقيم فيهِ فلكونر وكان فلكونر لا يزال مستيقظًا فقرعت باب غرفتهِ بيدٍ راجفة ولما فتح ورآها استغرب مجيئها في تلك الساعة، فقالت لهُ اسألك اول كل شيء ان تعذرني على قدومي الآن بهذه الصفة وبما جئتك لامرٍ فيهِ موتٌ وحياة فهل جآءت سنقيقتي املي الى هنا. فقال مستغربًا كلاّ واي شيءٍ يستدعي مجيئها. فوقفت هنيهةً مترددة ثم صممت عزمها فاقتربت من فلكونر واخذت يدهِ وقالت ايها الشهم ساخبرك بسرٍّ عظيمٍ وانما ارجو ان تقسم لي انك لا تسعى في خرابي والحت عليهِ فاقسم لها. فقالت قد احببتك كما كنت تعلم وكان حبي لك اقوى منهُ لسواك اضعافًا ولكني انبهرت بارتقآء هرجر ومجدهِ ففضلتهُ عليك غيرانني اواه قد بلت الآن جرآء حماقتي وغروري فكفاني قصاصًا مرًّا ان اكون زوجة رجلٍ ليس لهُ من الشرف الا الاسم الظاهر واما داخلهُ فمكر وخداع. ثم قصت عليهِ ما جرى بينها وبين املي في تلك الليلة واخبرتهُ بوجود الرسالة وانها تأكدت ان الرسالة وصلت الى هرجر في وقتها وانهُ عن غير تروٍ جعدها بيديهِ ووضعها في جيبهِ فسقطت الى داخل البطانة وانهُ ولا بد قد تاكد فقدها والاّ لما ابقاها وتجاسر ان يكرها. ثم جثت على ركبتيها امام فلكونر وانحدرت دموعها على يدهِ وقالت بربك يا فلكونر اصفح لي واعفُ عن زوجي ليس لاجلهِ بل لاجلي ولا تجرّ عليَّ الويل والاهانة فان كلمةً واحدة منك بعد وصول الرسالة الى يدك ترمي بنا من ذروة العز الى وهدة الحري والعار بل توصلني الى قبري باكرًا. فتأثر فلكونر من دموعها وانهضها وقال لا. اني لا اغتنم هذه الفرصة للانتقام بل انتقم منكما بسكوتي. اما سعيي لتبرئة نفسي فقد مضى وقتهُ ولا يهمني اعادتهُ بعد خسارتي اياكِ وقد كنت اظنكِ سعادتي في هذه الحياة الدنيا. وقد نسيت ماضيَّ ونسيتكما من زمنٍ طويل فلا تذكريني بما لا احبّ والآن ارجو ان تعودي من حيث اتيتِ واطلب اليكِ ان تجتهدي في ان لا نتقابل بعد الآن. فضغطت الالادي هرجر على يد فلكونر وكانت دموعها تمنعها عن الكلام ثم حنت رأسها مودعةً وخرجت

ولم تمض بضع دقائق على فلكونر حتى سمع باب غرفتهِ يقرع ثانيةً ففتح واذا باملي داخلة اليهِ بثياب النوم وقد القت على كتفيها شالاً خفيفاً فقابلها فلكونر باسما . فقالت لهُ اعذرني ايها العزيز لمجيئي اليك بهذه الحالة فاني قد وجدت لك ما يثبت براءتك ويعيدك الى اسمى مركزٍ تؤمله فخذ هذه الرسالة التي كتبتها الى هرجر الخائن وقد وجدتها في ثوبهِ هذه الليلة . ثم اخرجت الرسالة من صدرها وناولتهُ اياها فمد يدهُ واخذها منها ثم ادناها من شمعة متقدة بجانبهِ ولم يتركها حتى سقطت برمتها رماداً . اما املي فوقفت حائرة لا تدري لعلهُ كان قد فقد عقلهُ . ورأى فلكونر منها ذلك فقال كانت شقيقتك هنا قبلك يا املي وقد اقسمتُ لها ان لا اسعى في خراب بيتها وزوجها وفضلاً عن ذلك فلم تعد تهمني براءتي وقد عزمت على مغادرة انكلترا والذهاب الى بلادٍ بعيدة انسى فيها مسقط رأسي ومعارفي كما نسوني . اما انتِ فلا ارى كيف اعبر لكِ عن شكري العظيم ايها الملك الطاهر . فصمتت املي هنيهةً ثم قالت بصوتٍ خافت تذهب والى اين وماذا يحلّ بي الان وشقيقتي لا تقبلني بعد الان في بيتها . قال وماذا افتكرتِ ان تفعلي اذاً . قالت ان ابقى واياك فقد احببتك يا فلكونر ولن انسى ايام كنت صغيرة وكنت تزورنا وتحملني بين ذراعيك . قال نعم واما الان فلا يمكن ذلك فانتِ في مقتبل حياتكِ وانا قد وخط رأسي الشيب . قالت ما لي ولهذا فانا احبك ولن افارقك بعد الان

. . . . . .

وفي نفس الاسبوع تعجب معارف الطرفين اذ قرأوا في جرائد لندن خبر اقتران فلكونر باملي شقيقة اللادي هرجر وسافر العروسان على الاثر لقضاء شهر العسل . ومع ان العلاقات الودية بقيت غير محكمة العرى بين العديلين والشقيقتين فان سرّ الرسالة لم يزل مكتوماً الى ان سمح هرجر بنشرهِ وهو على فراش الموت